﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ [آل عمران: 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

وقعت الآيةُ من سابقتها موقع التعليل للأمرين السابقين؛ فبعد أن ذَكَرَ لهم الآياتِ والمعجزات في الآيات السّابقة، ثمَّ أمرهم بتقوى الله وطاعته، بيّن لهم هنا أنَّ الله تعالى هو ربُّه وربُّهُم، وأنَّ عبادةَ الله هي الصِّراطُ المُستقيم الذي سار عليه المؤمنون المُتَّقون.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صِرَٰطٞ﴾: جذر الكلمة هو: (صرط وسرط)، الصِّرَاطُ، بالكَسْرِ: الطَّريقُ، قالَ اللّه تَعَالَى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: 6][1]، والسَّرْط، منه الاستراط: وهو سُرعة الابتلاع من غير مَضغ[2]، والسِّراط: السبيل الواضح، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ٤١﴾ [الحجر: 41][3]، والمراد هنا السَّبيل الواضح.

2) ﴿مُّسۡتَقِيمٞ﴾: جذر الكلمة هو: (قوم)، القِيمَةُ واحدة القِيَم، وقَوَّمَ السِّلعة تقويمًا، وأهلُ مكة يقولون: استقامَ السِّلعة، وهما بمعنًى واحد، والاستِقامةُ: الاعتدال، يقال: استقامَ له الأمر، وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فصلت: 6]، أي: في التوجُّه إليه دون الآلهة، وقوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيّنة: 5]، إنَّما أنَّثه؛ لأنَّه أراد الملَّة الحنيفيَّة، والقَوَامُ بالفتح: العدل، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: 67][4]، والمراد هنا: لا اعوجاج فيه.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بعد أن بيّن عيسى عليه السلام في الآيات السّابقةِ فضلَ الله عليه وعلى بني إسرائيل، بأنْ أرسلَ إليهم الرُّسلَ بآياتٍ مبيّنات، وأنزل عليهم التوراةَ والإنجيل، أقرَّ هنا بعبوديَّته لله،

(1) الزَّبيديُّ، تَاجُ العَرُوس: (صرط).
(2) الخليل، العَين: (سرط).
(3) ابن سيده، المُحكم: (سرط).
(4) الرَّازيُّ، الصِّحَاح: (قوم).

وأنَّه عبدٌ لله كما هم عبادٌ له سبحانه، وما دام الأمر كذلك فأنا وأنتم سواءٌ في العبودية والخضوع له، فتقتضي الرُّبوبيَّةُ عبادتَه سبحانه وحده، والعبادةُ لله هي الطريقُ الواضحُ الذي لا اعوجاجَ فيه، وهو الموصلُ إلى الله وإلى جنتِه، وما عدا ذلك فهي طرقٌ موصلةٌ إلى الجحيم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الاحتراس في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ﴾:

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ إقرارٌ بالعُبودِيَّةِ ونَفيٌ للرُّبُوبِيَّةِ عن نَفسِهِ[2]؛ كي لا يُتوهَّمَ بعد ما رأوا من خوارق العادات التي يتكرَّرُ ظهورُهَا على يديه، من أنَّه إله يدعوهم إلى الإيمان به لذاته، لِمَا وصف عيسى نفسه بأفعال إلهيَّةٍ، وأتى على ما ذُكر، وكان قد قال: ﴿وَأَطِيعُونِ﴾؛ خطر له ما فعلته جماعة من النَّصارى، وهو اتّخاذهم إيَّاه معبودهم، فاحترس بقوله: ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾، وقدَّم نفسه باعتباره أولى منهم بالعبادة والخضوع لله؛ فإنَّه قدوة لهم في تلك العبادة وذلك الإيمان، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾، ولم يقل: رَبُّنَا؛ ليكون أبعدَ من التأويل فيما ادَّعَوه، وأمر بأن يُعبَد الله وحده[3].

المعجزات مهما كانت قاهرة؛ لا تنفي مقام البشرية، بل تدلُّ على ربوبيَّة الله لرسله

وقد بُنيت الآية على التَّوكيد؛ لتنتج معنى: أنا وأنتم في العبوديَّة سواء.

وتكرار كلمة الرَّبِّ في قوله: ﴿رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾، أبلغ في التزام العبودية من قوله: (ربنا).

فمقصوده بختم كلامه بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ إظهار الخضوع والاعتراف بالعبودية لكيلا يتقوَّلوا عليه الباطل فيقولون:

(1) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 56، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 56.
(2) النَّسفيُّ، مدارك التَّنزيل: 1/257.
(3) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 2/581.

إنّه إله، وابن إله؛ لأن إقراره لله بالعبودية يمنع ما تدّعيه جهّال النّصارى عليه[1].

وقوله: ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ تفريع على الرُّبوبيَّة؛ فقد جعل قولَه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي﴾ تعليلًا، ثمَّ أصلًا للتفريع[2]، فتكون العبادة هي المقصد الرَّئيس، وهي الإجابة عن الكيفيَّة في تقوى الله وطاعة رسوله، وهذا إرشاد من الله للدُّعاة، فكلَّما كان الأمر معلَّلًا، والتَّكليفُ مسبَّبًا؛ كان ذلك أدعى لقبول الأمر والمسارعة إلى تنفيذه.

بلاغة المتشابه اللفظي:

تـوكـيـد الآيـة بضمير الفصل لتـقـدّم الآيـات الـدَّالَّـة على تـوحـيـد الـرَّبّ تعالى وقدرته، وعبودية المسيح له

ومن النظائر للآية في سورة مريم: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ﴾ [مريم: 36]، وفي الزُّخرف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾ [الزخرف: 64] بزيادة ﴿هُوَ﴾؛ لأنَّ آيتَي آل عمران ومريم تقدَّمتهما الآيات الدَّالَّة على توحيد الرّبِّ تعالى وقدرته، وعبودية المسيح له، ما أغنى عن التّأكيد، وفي الزُّخرف: لم يتقدَّم مثل ذلك، فناسب توكيد انفراده بالرُّبوبيَّة وحده[3].

بلاغة التَّشبيه التَّمثيليّ في الفاصلة:

الحَقُّ الواضحُ صراطٌ مستقيمٌ، لا يضلُّ سالكه، ولا يتحيَّر

وقعت جملة ﴿هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ موقع التذييل لما مضى، وجاءت على طريق التشبيه التمثيليِّ، فالحَقُّ الواضحُ صراطٌ مستقيمٌ، لا يضلُّ سالكه، ولا يتحيَّر[4].

وفائدة هذا التّشبيه: أنَّه تصوير لحال المُتلقّي، وهو سائر على الصراط المستقيم، ينعم بالأمان والسّكينة، وتحقيق الغاية في الدنيا والآخرة، وقد بنيت الجملة على نحوٍ خالٍ من التَّوكيدات؛ لإيراد معناها، حقيقة مسلَّمة، وأوردها في ثوب التمثيل، كأنَّها لوضوحها مشاهدة قريبة يشار إليها باسم الإشارة الدالِّ على القرب.

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 8/231.
(2) ابنُ عَاشُور، التَّحريرُ والتَّنوير: 3/253.
(3) الإسكافيُّ، درَّة التنزيل 1/361 وما بعدها. ابن جماعة، كشف المَعَاني: 129.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 3/253 - 254.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»